على رضي الله عنه حسن الخلق في ثلث اجتناب المحارم وطلب الحلال والتوسع على العيال وقال
الحسين بن منصور هو ان لا يوثر فيك جفا الخلق بعد مطالعتك الحق وقال الخراز ان لا يكون لك همه
غير الله فهذا وامثاله كثير وهو تعرض لثمرات حسن الخلق لا لنفسه ثم ليس محيطا بجميع الثمرات
وكشف الغطا عن الحقيقه اولى من نقل الاقاويل المختلفة فنقول الخَلق والخُلق عبارتان مستعملتان
معا يقال فلان حسن الخَلق والخُلق اي حسن الظاهر والباطن فيراد بالخلق الصوره الظاهره ويراد
بالخُلق الصوره الباطنه وذلك لان الانسان مركب من جسد مدرك بالبصر ومن روح ونفس
مدرك بالبصيره ولكل واحد منهما هيئة وصوره اما قبيحة واما جميله والنفس المدرك بالبصيره
اعظم قدرا من الجسد المدرك بالبصر ولذلك عظم الله تعالى امره بالاضافه الى نفسه فقال تعالى اني
خالق بشرا من طين فاذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين فنبه به على ان
الجسد منسوب الى الطين والروح منسوب الى الله تعالى والمراد بالروح والنفس في هذا المقام
واحد فالخلق عباره عن هيئه للنفس راسخه تصدر عنها الافعال الجميلة المحمودة عقلا
وشرعا وسميت الهيئه خلقا حسنا وان كان الصادر منه افعالا سيئه سميت الهيئة التي هي المصدر
خلقا سيئا وانما قلنا انها هيئه راسخه لان من يصدر منه بذل المال على الندور لحاجة عارضه
لا يقال خلقه السخا ما لم يثبت ذلك في نفسه ثبوت رسوخ وانما شرطنا ان يصدر منه الافعال
بسهولة من غير روية لان من تكلف بذل المال او السكوت عند الغضب بجهد وروية
لا يقال خلقه السخا والحلم فها هنا اربعه امور احدها فعل الجميل والقبيح والثاني
القدره عليهما والثالث المعرفه بهما والرابع هيئة النفس بها تميل الى احد الجانبين ويتيسر عليه احد
الامرين اما الحسن او القبيح وليس الخلق عباره عن الفعل فرب شخص خلقه السخا ولا يبذل اما
لفقد المال او لمانع وربما يكون خلقه البخل وهو يبذل لباعث او لريا وليس عباره عن القوه لان
نسبة القوة الى الامساك والاعطا بل الى الضدين واحد وكل انسان خلق بالفطره قادرا على الاعطا
والامساك وذلك لا يوجب خلق البخل ولا خلق السخا وليس عبارة عن المعرفه لان المعرفه تتعلق
بالجميل والقبيح جميعا على وجه واحد بل هو عباره عن المعنى الرابع وهي الهيئة التي بها
تستعد النفس لان يصدر منها الامساك او البذل فالخلق اذا عباره عن هيئه النفس
وصورتها الباطنه وكما ان حسن الصورة الظاهرة مطلقا لا يتم بحسن العينين دون الانف
والفم والخد بل لا بد من حسن الجميع ليتم حسن الظاهر فكذلك في الباطن اربعه اركان لا بد من
الحسن في جميعها حتى يتم حسن الخلق فاذا استوت الاركان الاربعه واعتدلت وتناسبت
حصل حسن الخلق وهو قوه العلم وقوه الغضب وقوه الشهوه وقوه العدل بين هذه القوى

الثلث اما قوه العلم فحسنها وصلاحها في ان تصير بحيث يسهل بها درك الفرق بين الصدق والكذب
في الاقوال وبين الحق والباطل في الاعتقادات وبين الجميل والقبيح في الافعال واذا انصلحت هذه القوه
حصل منها ثمره الحكمه والحكمه راس الاخلاق الحسنة وهي التي قال الله تعالى فيها ومن يوت الحكمه فقد اوتي
خيرا كثيرا واما قوة الغضب فحسنها في ان يقتصر انقباضها وانبساطها على حد ما تقتضيه الحكمه
وكذلك الشهوه حسنها وصلاحها في ان تكون تحت اشاره الحكمه اعني اشاره الدين والعقل واما قوه
العدل فهو في قوه الغضب والشهوه تحت اشارة العقل والشرع فالعقل منزلته منزلة الناصح
المشير وقوه العدل هي القدره ومنزلته منزله المنفذ الممضي لاشاره العقل والغضب هو الذي
تنفذ فيه الاشارة ومثاله مثال كلب الصيد فانه يحتاج الى ان يودب حتى يكون استرساله وتوقفه
بحسب الاشاره لا بحسب هيجان النفس والشهوة مثالها مثال الفرس الذي يركب في طلب
الصيد فانه تاره يكون مروضا مودبا وتاره يكون جموحا فمن استوت فيه هذه
الصفات واعتدلت فهو حسن الخلق بالاضافه الى ذلك المعنى خاصة كالذي يحسن بعض اجزا
وجهه دون بعض وحسن القوه الغضبيه واعتدالها يعبر عنها بالشجاعة وحسن قوه الشهوه
واعتدالها يعبر عنها بالعفة فان مالت قوة الغضب عن الاعتدال الى طرف الزياده تسمى تهورا
وان مالت الى الضعف والنقصان تسمى جبنا وخورا وان مالت قوه الشهوه الى طرف الزياده
تسمى شرها وان مالت الى النقصان تسمى جمودا والمحمود هو الوسط وهو الفضيله والطرفان
رذيلتان مذمومتان والعدل اذا فات فليس له طرفان زياده ونقصان بل له ضد واحد وهو
الجور واما الحكمه فيسمى افراطها عند الاستعمال في الاغراض الفاسده خبثا وجربزة ويسمى
تفريطها بلها والوسط هو الذي يختص باسم الحكمه فاذن امهات الاخلاق واصولها اربعة الحكمه
والشجاعه والعفه والعدل ونعني بالحكمه حالة للنفس بها يدرك الصواب من الخطا في جميع
الافعال الاختياريه ونعني بالعدل حالة للنفس وقوة بها تسوس الغضب والشهوه
وتحملها على مقتضى الحكمه وتضبطها في الاسترسال والانقباض على حسب مقتضاها ونعني
بالشجاعه كون قوه الغضب منقادة للعقل في اقدامها واحجامها ونعني بالعفه تادب قوة
الشهوه بتاديب العقل والشرع فمن اعتدال هذه الاصول الاربعه تصدر الاخلاق
الجميله كلها اذ من اعتدال قوه العقل يصدر حسن التدبير وجودة الذهن وثقابة الراي
واصابة الظن والتفطن لدقايق الاعمال وخفايا آفات النفوس ومن افراطها تصدر الجربزه
والمكر والخداع والدها ومن تفريطها يصدر البله والغماره والحمق والجنون واعني بالغماره
قله التجربه في الامور مع سلامه المحل وقد يكون الانسان غمرا في شي دون شي

Copyright © King Saud University